اغنية لاجئ ايار ١٩٥٨

ايار الاسود عاد
عشرة اعوام حداد
وجبين في لون الليل
تكسوه باهتة الظل
من لون المأساة خيوط
من لون العيش على الذل
من صمتة شعب كالليل

*

ايار الاسود عاد
والوجه المزروع قتاد
وكأن لم يحمل ازهار
او يعرف نيسان الزخار
بالعطر الاخضر بالاطيار
بالحب الوردي الازرار
والعود المسحور الاوتار

ايار الاسود عاد
ذو القلب الدامي الاحقاد
القلب المملوء دماء
الراقص في عرس الاشلاء
الماضغ تاريخ الافناء
تاريخ النكبات السوداء
والشعب الضائع في الصحراء
في البحر المسعور الانواء
في ليل التشريد (الوضاء)

*

ايار الاسود عاد
والذكرى تنهش في الاكباد
وتهز الالاف المرميه
في خيمة ذل منسيه

مضغتها ريح شتويه
عزفت الحان الابديه

*

ايار الاسود عاد
في عام مشحون وقاد
ومصير مجهول الاعصار
لا يعلم ما تخفي الاقدار
لا يدري عودة « ايار »
هل تبقى عنوانا للعار ؟!
ام ان المطعون الجبار
في وثبة مقدام زآر
سيحيل الدنيا اغرودة ثار ؟

كمال مصاروه
الاردن ـ الكرك

وهنا نجد الرحال مع عبو متعاونين متفاهمين ، فكلاهما لم يحتضن اللحظة السيكولوجية المعطاء ، وكلاهما لم يوفرا الوقت اللازم لهذه الحضانة السيكولوجية ، وكلاهما تجاهل ـ وليس تجاهلهما عن عمد ـ قيمة الوقت والتشرب برموز الثورة ، ومعطياتها ، وبطولتها ، ودسومة ايحاءاتها.

اما منحوتة الفنان اسماعيل الترك ، فهي تفارق منحوتة الرحال في المعطى والموحي ، وتفارقها في الرؤيا ، وتفارقها في التعقيل والتوجيه ، ومع ان الموضوع نفسه ، كما كان في الثورة الجزائرية بالنسبة للفنانين صبري وعبو ، الا ان المضمون والتكنيك اختلف وتباين في كل من اللوحتين والمنحوتتين.

في المضمون تختلف منحوتة اسماعيل عن منحوتة الرحال : في السلاسل التي علقت بها بطلتنا جميلة ، وفي وضعية اليدين ، اليد اليمنى المثنية، واليد اليسرى وهي تشيل الايمان والصمود وفي الاطراقة وهي تحتضن الثبات وعدم التردد ، وعدم التهيب ، وفي الخشونة في الكساء النحتي، التنوءات البارزة ، والتشققات التي تنم عن تشققات جرحية ، وصمودات موقفية ، وعذابات نفسية مقرونة بموقف الرفض الجاد للتعذيب، ووحشية التعذيب ، واهانة الانسان والفكر .

والسلاسل تنقطع حتما ، جراء الايمان الجاد ، الصبور ، المتطور بالقضية والراس يشيل ، ظافرا ، الجسد المعذب ، وهولحاء الروح الثورية البطلة . والصدر قد ادفقت فيه بطولة استثنائية ، هي اشعاعات الايمان ، والفكرة المضيئة ، والصرامة ، فبدا ضخما يتحدى ، كما تحدت اليدان ، وكما تتحدى اصابع اليدين ـ والسلاسل تربطها ـ وكما تتحدى العيون ، وكما يتحدى الراس وهو مطرق في اباء وشمم . ومثل هذا التكنيك من اسماعيل ، وفي منحوتته ، شيء طيب جدا ، لانه قد جاء بسربلة شاعرية رهيفة ، لم تفقد معناها الثوري ودلالتها الانسانية . البطلة جميلة ، شكلا وملامح ، لكنها جميلة في شاعريتها ايضا في ايمانها بالقضية ، وفي تمردها ، ورفضها ، وتطورها ، ونصرها . والبطلة جميلة في شاعريتها النبيلة ، ولكن ليس بالمعنى الكلاسيكي ، بل بالمعنى الواقعي ـ شبه التعبيري الحديث .

ان اسماعيل الترك يقترب حثيثا من الواقعية التعبيرية ، وهو يسجل بذلك ، وهي منحوتته هذه على وجه الدقة ، كسبا بالغ القيمة ، نسبة الى منحوتاته الاخرى الحاضرة والسابقة، وعلى الاخص منها « الصياد » و « الذهاب الى الحقل » . ان موضوعه ومضمونه يتفتحان تفتحا قوميا شفيفا وذكيا في آن واحد ، ومع ان التكنيك لا يتكامل كليا ، الا انه بطريق التكامل ، كما تشير الى ذلك ارهاصات منحوتاته عامة .

اما الرحال فمع طوفانه بالتجريدية ، نجده يقترب ، كلاسيكيا ، في منحوتته لجميلة . وهذه المنحوتة طيبة الموضوع ، ان قيست بسائر منحوتات الفنان المجيد الرحال ، بل انها كسب قيم جدا لفنه .

وكلا المنحوتتين يسوحان انسانيا ، وان كانت الدلالة الايجابية في منحوتة اسماعيل ابلغ واتم . وكان اسماعيل ، هنا ، يضع يده بيد صبري في تجسيم الثورة الجزائرية بطلة ورمزا ، بينما تنظر منحوتة جميلة للوحة عبو ، من حيث الاطار الكلاسي، والمضمون، وان اختلفا في بعض المعطى.

بغداد **جليل كمال الدين**